١٧٠ مليار دولار ديون افريقيا للدول الغربية

حل مسألة الديون يرتبط بحل قضية نزع السلاح

فلاديمير بوردانسكي دكتور في علوم التاريخ

اخذت البلدان الافريقية الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى تشعر في السنوات الاخيرة بشكل واضح ومؤلم بالهوة بين تفاقم القضايا الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية وبين الامكانيات المادية لحلها . اذ تزداد حدة هذه القضايا اكثر فاكثر ، في حين تتقلص باطراد امكانيات التغلب عليها .

لقد نشر في تموز عام ١٩٨٥ في نيويورك تقرير السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة بيريس دي كويلار عن الوضع الاقتصادي في البلدان الافريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى . واشارت هذه الوثيقة الى ان ٢٦ بلدا من اصل البلدان الستة والثلاثين الافقر في العالم . توجد في القارة الافريقية.ان حصة المنتوج الاجمالي نسبة للفرد الواحد من السكان سنويا في تشاد التي اضنتها الحرب يكاد لا يبلغ ٨٠ دولار . وحتى في زائير التي تعيش في حالة سلام لم تبلغ في عام ١٩٨٤ الا ١٩٠ دولار وفي مالي ١٨٠ دولار . ويبلغ المعدل الوسطي لعمر الفرد الافريقي ٤٧ عاما وهو اقل مما عليه في اي مكان في العالم . اما معدل الوفيات بين الاطفال في هذه القارة فيزيد بنسبة ٥٠ بالمئة على معدل الوفيات في البلدان النامية عامة .

ولعل الرأي العام الافريقي ما كان ليتحسس الوضع الراهن بهذا القلق لو كان ثمة تحسنا ملموسا يطرأ على حياة السكان . اما التحولات ، ان حصلت ، فهي نحو الاسوأ فقط .

هـــذه هـي مخلفـات الاحتكـارات الغربيـة فـي افريقيـا .....

عبء لا يحتمل !

تشير معلومات هيئة الامم المتحدة الى ان الانتاج الداخلي الاجمالي قد تقلص في ٤٥ بلدا تقع جنوب الصحراء الكبرى بمقدار ١ بالمئة في عام ١٩٨١ وبمقدار ٢ بالمئة في عام ١٩٨٢ ، و ٧ ر. بالمئة في عام ١٩٨٣ . وعام ١٩٨٤ فقط لوحظ تحول في هذا الاتجاه : فقد بلغت زيادة الانتاج الداخلي الاجمالي ٨ر. بالمئة . والحالة الاصعب هي في الوضع الغذائي . اذ يكفي ان نقارن بين رقمين هي مؤشر الزيادة السنوية للسكان وهو ٣ر٢ بالمئة ، ومؤشر الزيادة في المنتوج الزراعي وهو زهاء ٢ بالمئة ، لنفهم كم هي حادة قضية الغذاء في القارة . وتشير حسابات الباحث السوفيتي سيمونوفسكي الى ان استهلاك المواد الغذائية التي تسمح في افريقيا انخفض من ٢٢٠ كيلوغراما للفرد الواحد في عام ١٩٧٠ الى ١٨٠ كيلوغراما في عام ١٩٨٤ .

ومما لا شك فيه ان الجفاف قد لعب دوره المشؤوم . فقد حرق المزروعات في اراض واسعة ولعدة سنوات متتالية . ومع ذلك . فان اثار النهب الامبريالي لافريقيا لم يكن اقل ضراوة وما دون افريقيا الحالية الا واحد من تلك الاثار .

تدين لاول وهلة ان مجمل الديون الخارجية لـ ٤٣ بلدا من هذه البلدان ليس بالكثير ، وخاصة اذا ما قارناه بمؤشرات ديون بعض بلدان امريكا اللاتينية او بعض البلدان الاسيوية اذ انها حسب معطيات عام ١٩٨٣ كانت تقارب ٧٤ مليار دولار . واذا احتسبنا بلدان شمال افريقيا الخمسة واستثنينا جمهورية جنوب افريقيا وناميبيا فان ديون افريقيا عامة قد ناهزت ١٧٠ مليار دولار في عام ١٩٨٥ .

وتحمل خمسة بلدان ـ وهي سيجيريا ، والسودان ، وساحل العاج وزائير ، وكينيا ما يقرب من نصف عبء ديون افريقيا جنوبي الصحراء الكبرى . او ما يقارب ٣٦ مليار دولار . ويشير خبراء الاقتصاد الغربيان دي سيرني ولموار ان ثلثي الدين العام من نصيب عشرة من بلدان افريقيا .

ان مثل هذا المستوى من الدين يحرم عمليا الكثير من البلدان الافريقية امكانية البحث عن الموارد الداخلية لغرض التنمية .

وبالاضافة الى ذلك فان هبوط اسعار سلع التصدير الافريقي المتفاقم يصاحب بارتفاع في اسعار السلع التي كانت افريقيا مجبرة على شرائها من الدائنين اي من بلدان الغرب . فكانت نتيجة ذلك ان ضاقت امكانات القارة على تحسين وضعها المالي بمساعدة الصادرات .

ووفقا لحسابات بنك الانشاء والتنمية الدولي فان دول البلدان الافريقية الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى رادت في عام ١٩٨٤ ثلاث مرات على دخولها من الصادرات لفترة عام .

ويشير الخبير الاقتصادي البوغوسلافي سيمونوفسكي الى ان "خمسة ست سنوات تمس ان بلدا واحدا من البلدان التي تتعقد برامج صندوق النقد الدولي بشكل مواصل لم يستطع لحد الان التغلب على صعوباته الاقتصادية " . رد على ذلك ان تطبيق نصائح صندوق النقد الدولي يترافق بتردي الظروف المعيشية للشعب . حيث بلغ الهبوط في مستوى المعيشة في السنوات الاخيرة في عدد من البلدان الافريقية ٢٠ بالمئة .

ان تحرير البلدان الافريقية من ربقة الديون هو امر يزداد الحاحا عام بعد عام . غير ان البلدان الغربية تبقى صما لا تسمع الاصوات الهادرة من هناك . والاكثر من ذلك ، انها تستغل المصاعب التي تعيشها البلدان الافريقية من اجل تشديد التبعية للاستعمار الجديد . فهي تتبع بشكل مكشوف مبدأ التخويف الاقتصادي والضغط المالي ، والتفرقة العنصرية في التجارة ، وكل الطرق التي سماها ميخائيل غورباتشوف "بالارهاب الاقتصادي" .

ان العمل من اجل وضع برنامج شامل لحل قضاياها الاقتصادية يتطلب ان يرتبط هذا البرنامج بحل قضية نزع السلاح ، مما يساعد على تحرير اموال طائلة وتجنيدها لاغراض التنمية .

الامبريالية الامريكية والعالم العربي

النشاط المشترك للامبرياليين الامريكان والصهاينة في العالم العربي

فصل من كتاب "سياستان ازاء العالم العربي" للاكاديمي والباحث الشهير "بونداريفسكي" .

ان وثائق ارشيف ولسن عبر العشور كليا . يعد تؤكد ان الرئيس الامريكي كان قد اطلع على جميع معاهدات الحلفاء السرية ، بما فيها اتفاقية سايكس ـ بيكو ، في ٣٠ نيسان ١٩١٧ اثناء زيارة وزير خارجية بريطانيا بلفور الى البيت الابيض . رد على ذلك ان بلفور بعث الى ولسن شخصيا في ١٨ ايار ١٩١٧ نسخا لجميع المعاهدات السرية مرفقة بالرسالة التالية ذات الدلالة الكبيرة : "لا اعتقد بان هذه الوثائق ستضيف شيئا جديدا الى ما هو معروف لديكم بخصوص هذه المسألة" . وعلى ضوء هذه الملاحظات يتضح ما سجله الكولونيل هاوز في يومياته حيث يعرض مضمون مناقشته مع ولسن بصدد البند ١٢ . فالرئيس الامريكي . كما يتضح من هذه اليوميات ، لم يكن في نادئ الامر راغبا في الاكتفاء بالاشارة العامة الى صح الاستقلال لجميع الشعوب الداخلة ضمن الامبراطورية العثمانية ، بل كان يريد ان يعدد بالحرف الواحد العراق وسوريا والبلدان العربية الاخرى . الا ان هاوز المطلع كليا على معاهدة سايكس ـ بيكو نصح الرئيس الامريكي بعدم ايراد هذه التفاصيل ضمن البند ١٢ .

وفي تشرين الاول ١٩١٨ ، في معمعان التحضير لمؤتمر باريس للسلام ، وضع الكولونيل هاوز الذي كان في باريس انذاك ، بالاشتراك مع الكاتب الاجتماعي المعروف والتر ليبمان تطبيقا ضافيا على "بنود ولسن الـ ١٤" . وقد استحسن الرئيس الامريكي هذا التطبيق . وبخصوص البند ١٢ كتب المؤلفان يقولان : "ان بريطانيا هي ، بلا جدال ، افضل دولة مندوبة على سوريا الى الامبرياليين الفرنسيين" . وتضمنت هذه الوثيقة موافقة على تسليم ذلك هو رياء ونفاق الاوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية التي تجلببت بجلباب المناضلين ضد الاستعمار ، ولكنها في الواقع ايدت تقسيم البلدان العربية الذي اعدته دول الوفاق بالاشتراك مع الجمهورية الديموقراطية المثالية ، جمهورية ولسن ، قد تكشف في وفي معرض تحليل هذه السياسة كتب فلاديمير ايليتش لينين يقول : اشد اشكال الامبريالية ضراوة ، عن اشد اشكال اضطهاد الشعوب والصغيرة وخنقها وفاحة وخزيا " .

وفي عام ١٩١٩ تجلى في جلسات مؤتمر باريس للسلام ، وبالدرجة في جلسات المجلس الرباعي الفائق القوة والحول (ولسن وروسا ، وفرنسا وايطاليا) كامل عمق التناقضات بين الامبرياليين حول مسألة الشرقين الادنى والاوسط . فالامبرياليون البريطانيون الذين عجزوا عن الشرق الاوسط بذلوا جهودا عنيدة في الواقع لالغاء كلا الالتزامين العربي ، نعني اتفاقية مكماهون ـ الحسين حول تأسيس دولة عربية اسيا واتفاقية سايكس ـ بيكو حول اقتسام العالم العربي بين بريطانيا وكان هدفهم واحدا يتلخص في اخماد حركة التحرر العربية وتجنب المنافسين الفرنسيين وتحويل هذه المنطقة الى منطقة نفوذ محتكرة لبريطانيا ولذلك حاول المستعمرون البريطانيون ان ينبتوا عدم حواز تسليم العربية التي نصت عليها اتفاقية سايكس ـ بيكو الى فرنسا بشكل مستتر الانتداب وساطق نفوذ ، لان فرنسا لا تحظى بسمعة طيبة لدى العرب بوصفها عملاء بريطانيا بكل الوسائل على جعل سمعة فرنسا تندهور) . وكان بامكان سلاحا اكثر فعالية في ايدي المستعمرين البريطانيين الذين كانوا يأملون بالتخلص من كلتا الاتفاقيتين المذكورتين . فبمساعدة الصهاينة كان النوسعيون البريطانيون يأملون بنسف فكرة الدولة العربية الموحدة خطط فرنسا الطامعة بسوريا ولبنان وشمال فلسطين .

ـ يتبع في العدد القادم ـ

«أيام.. في بلاد العم سام» (١)

نهضت باكرا على غير عادتي ، تذكرت ما علموه لنا في المعهد عن اختلاف الوقت بالنسبة لتعاقب الليل والنهار على غير ما اعتاده الانسان ، يحس بالحاجة للنوم نهارا ، في حين يظل صاحيا في الليل . وتخطيط للايام ليعود الى انتظامه العادي في النوم والصحو .

كانت ربة البيت قد انهمت اعداد الافطار وتهيئة الطعام للاطفال لتتمكن من الوصول في الموعد المحدد الى عملها في احدى شركات الكمبيوتر .

صحبني صديقي لمراجعة مكتب الجامعة الذي سيرعى شؤون الاقامة وكان يعرفني طوال الطريق بالشوارع والعمارات . قال : ان مدينتنا هي الى حد ما تشبه مدينة رام الله ، حتى انني اشعر احيانا انني في رام الله وخصوصا في الليل عندما تضاء اعمدة الراديو المرتفعة بالاضواء الحمراء .

واحسست بالارهاق فجأة ، واعتقد انني اشعر بالضياع والرغبة في البكاء عندما ذكرني الصديق برام الله . ولكن صوته عاد ليقول : هذا هو مبنى اللغة الانجليزية حيث سيكون موقعك . صعدنا الى الطابق الخامس . استقبلتنا السكرتيرة مرحبة قائلة : "ظننا انك لن تحضر .. قالوا ان السفر من المحتمل ان متعذر احيانا " ثم سلمتني مظروفا كبيرا قالت انه يحوي كل التعليمات والاوراق وعلي ان اقراه ، عندما اعود الى البيت . واضافت بان مكتبي سيكون في الطابق اخر من الدارسين من بلدان مختلفة ، واعطتني رقم العمارة ورقم الشقة .

خرجنا من المكتب ، واحب صديقي ان يعرفني على اقسام الكلية . ان اغلب الطلاب في عمر ابنائي ، وكثيرون منهم توحي ملامحهم بانهم من اللاتينية اوبلدان الشرق الاقصى . وسألت صديقي : عن عدد الطلاب العرب في الجامعة قال انهم كثيرون وبينهم عدد من الفلسطينيين ممن جاؤا من بلدان النفط الخليجية واكثرهم مهمل في دراسته .

وصلنا عمارة السكن التي ساقيم فيها ، صعدنا الى الطابق العاشر ، الطابق الاخير ، كانت المشرفة تجلس على مكتب صغير جدا لا يتناسب بالمرة مع الاحوال مع حجمها الضخم . نظرت الي بعيون مرهقة تحيط بها هالات من السواد المزرق . ناولتني مفتاحا ومغلفاخما اخر ، وقالت ان فيه كل التعليمات التي عادت للجلوس على مكتبها دون اكتراث بنا وكاننا غير موجودين على الاطلاق .

خرجنا من المكتب . قلت لصديقي بانني احس بالضياع والورطة معا . "انني اكره التعليمات المكتوبة ، اكره ان اسير بالتعليمات المكتوبة دون قناعة" . فقال صديقي : " هذا هو نمط الحياة هنا . عليك ان تتقنه ، ان تنفذ فقط ، وان تركض دائما لتنقذ ، صحوك ، منامك ، طعامك ، وحتى وكل حياتك خاضعة للتعليمات المبرمجة مسبقا" . ثم اضاف : "اتذكر (ام.ف) التي كانت موكولة بسجن النساء في غزة في بداية الخمسينات في مشرفة السكن بهذه السجانة ؟" ، ابتسمت ، وشعرت ان الغثيان زايلني قليلا . " ولكن السجانة كانت مرحة دائما ... تتبادل النوادر والتعليقات مع الناس وهي تسير في الشوارع كامبراطورة ... وكنت دائما استغرب كيف تتأقلم مع عملها كسجانة وهي بهذه الطيبة . اما مشرفة السكن هذه فهي لا تعرف الابتسام الا اذا كان مدونا في التعليمات المحفوظة في ملفات ضخمة" . صديقي وقال : " نعم .. في هذه البلاد لا يعرفون الربيع الا من المقولة الواحد في مفكرته مسبقا متى يجب ان يكون سعيدا ! .. ومتى يجب ان يكون حزينا" . واخذ صديقي يقهقه بانفعال .

قلت في نفسي : اليس هذا هو المقت بعينه .. المقت الدائم ، رغم ان يدونه المرء في مفكرته من ضرورة الابتسام في يوم معين او ساعة معينة !

ـ يتبـــع ـ